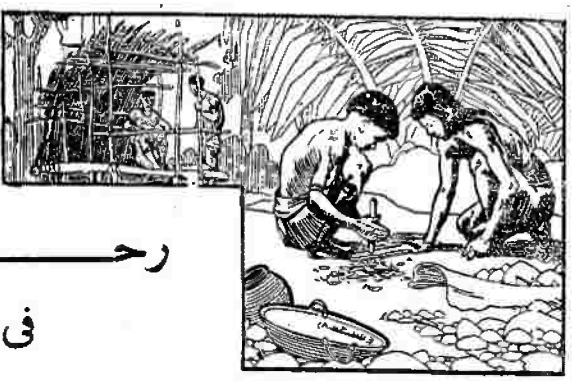

رحـــــــلات أنور

فى بورنيو

- ١٣ -

وَسَأَلَ أَنْوَرُ : « أَيْنَ نَحْنُ ؟ »

فَأَجَابَهُ الشَّمْبَانْزِى : « نَحْنُ فى جَزِيرَةِ بُورْنِيُو . »

وَفَتَحَ أَنْوَرُ عَيْنَيْهِ ، فَوَجَدَ نَفْسَهُ عَلَى قِمَّةِ شَجَرَةٍ ، مُطِلاً عَلَى غَابَةٍ كَثِيفَةٍ مُظْلِمَةٍ . عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرَى إِلَى مَدًى بَعِيدٍ . فقد كَانَتِ الأَغْصَانُ العُلْيَا للأَشْجَارِ مُتَقَارِبًا بَعْضُهَا من بَعْضٍ . حتَّى كَأَنَّهَا سقفٌ يَحْجُبُ أَشِعَّةَ الشَّمْسِ عن الأَرْضِ . وكَانَ كُلُّ شىءٍ مُبْتَلاًّ ، لأَنَّ المَطَرَ يَسْقُطُ هناكَ كُلَّ يَوْمٍ تَقْرِيبًا . وكَانَ الجَوُّ حَارًّا ، والهواءُ كَرِيهَ الرَّائِحَةِ . وَعَلَى أَعَالِى الأَشْجَارِ كَثِيرٌ من الطُّيُورِ والفَرَاشِ والقِرَدَةِ والأَزْهَارِ .

الشمبانزى

إِنَّهُ لَبَدِيعٌ أَنْ أَكُونَ فى وَطَنِى فى الغابةِ ، حَيْثُ أَسْمَعُ حَدِيثَ القِرَدَةِ ، وحَيْثُ أُرَتِّجِحُ عَلَى الأَغصانِ ! ! وفى بعضِ الأَماكِنِ تَتَّصِلُ أَغصانُ الأَشجارِ العاليَةِ لمسافاتٍ بَعِيدَةٍ ، فأَستَطِيعُ السَّيْرَ عليها أَيَّامًا من غَيْرِ أَنْ أَنْزِلَ إِلَى الأَرْضِ ! ومع ذلك فَلِى بَيْتٌ أَصْنَعُهُ من أَغصانِ الأَشجارِ أُصْفِرُ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ . وكُلَّمَا جَفَّتْ أَوْرَاقُهَا ، وأَخَذَتْ تَسْقُطُ بَنَيْتُ بَيْتًا آخَرَ . وقد كَانَ لِأَبِى ، فى وَقْتٍ مِن الأَوقاتِ ، تِسْعَةٌ من تِلْكَ البيوتِ فى بُقْعَةٍ واحدةٍ . »

وبَيْنَمَا هُمَا يَتَحَدَّثَانِ ، انْتَزَعَ الشَّمْبَانْزِى جَرِيدَةً من نَخْلَةٍ ، وَأَخَذَ يَأْكُلُ مِن طَرَفِهَا الطَّرِىِّ . وقَدَّمَ قِطْعَةً منها لأَنْوَرَ ، قَائِلاً : « ما أَحْلَى العَوْدَةَ إِلَى تَنَاوُلِ طَعَامٍ جَيِّدٍ ! ! »

وصَاحَ الشَّمْبَانْزِى : « ما أَشَدَّ سُرُورِى لِعَوْدَتِى ! !

فصاحَ أنورُ مذهُوشاً : « طعامٌ جيّدٌ ! ! ألمْ يكُنْ يُقدَّم إليك أجودُ الأطعمةِ وأحسنُها فى السَّفينةِ ؟ »

فأجابَ الشَّمبانزى : « أجودُ الأطعمةِ وأحسنُها لكَ ! أمّا أنا فلا أُحبُّ البَيْضَ ، ولا اللَّحْمَ ، ولا السَّمكَ الذى تُخرِجُونهُ من عُلَبِ الصَّفيحِ ! ! فهنا أستطيعُ أنْ أعيشَ على الفاكهةِ ، وبَيْضِ الطُّيورِ وأوراقِ الشَّجرِ ، والمَوْزِ البرّىِّ ، وغُصُونِ الأشجارِ الصَّغيرةِ . إنى أدْعَى إنْسانَ الغابةِ . وفيها فقَطْ أحسُّ أنّى حقيقةٌ فى وطَنِى . »

ولَمْ يكنْ أنورُ يُشارِكُ الشَّمبانزى فى سُرُورِهِ . فقد كانتِ الشَّمْسُ شديدةَ الحرارةِ ، والهواءُ شديدَ الرُّطوبةِ . وكانَ النَّملُ يقرُصُهُ من كلِّ ناحيةٍ ، وقد صرَخَ مرّةً ، عندما قرَصَتْهُ نَمْلةٌ ، وقفَزَ قفزةً كادَتْ تُسقِطُهُ من فوقِ الأغصانِ . فضحِكَ الشَّمبانزى من ذلك ، وقالَ : « إنَّ قِمَمَ الأشجارِ لا تَصْلحُ لكَ ! ! فلْنَنزِلْ إلَى الأرضِ ! »

ولَمْ يكُنْ من السَّهلِ السَّيْرُ على الأرضِ ، لأنَّها كانَتْ مملُوءةً بالأغصانِ التَّالفةِ التى يَتعثَّرُ فيها السَّائرُ ، والنَّباتاتِ الشائكةِ ، التى قد تَدْخُلُ أشواكُها فى الجِسْمِ ، أو تُمزِّقُ الملابسَ ، والقَصَبِ (الغاب) الهندىِّ الذى يَنْمُو فى بَعْضِ الأماكنِ كَثيفاً ، فلا يُمكِنُ الإنسانَ المُرورُ فيه . وقدْ وَدَّ أنورُ لو أنَّ معه فأساً يَقْطَعُ به بَعْضَ النباتاتِ التى كانَتْ تَعْترِضُ سَبيلَهُ .

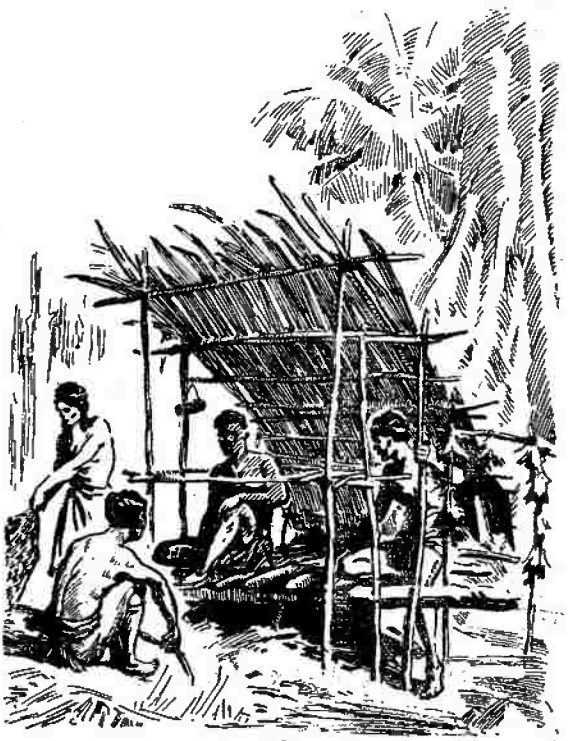

كوخ من اكواخ بورنيو

وبَعْدَ أنْ سارَا قليلا ، وَصَلا إلى كوخٍ من أكواخِ سُكّانِ تلكَ الأقاليمِ ، وكانَ مكشوفا من ثلاثِ جهاتٍ ، فلَمْ يَزِدْ على أنَّهُ سَقْفٌ مائلٌ مُقامٌ على عِصِىٍّ ، وكانَ السَّقْفُ من سَعَفِ النَّخْلِ ، فإذا سَقَطَ المطرُ تَسَرَّبَ الماءُ من خِلالِهِ . ولَمْ يكُنْ أحدٌ بالكوخِ ، فدَخلَ أنورُ ليُلقِىَ نظْرَةً على الأشياءِ المُبعثرةِ على أرضِهِ المُبتلَّةِ . فرَأى بَعْضَ أوانٍ حَديديّةٍ ، أمّا ما سِوَى ذلك من مَلاعِقَ وصَنادِيقَ وصِحافٍ وأطْباقٍ ، فكانَتْ جميعُها من الخشبِ . وجلَسَ على حَصيرٍ من الخَيْزَرانِ ليشاهِدَ ما حَوْلَهُ . وبعدَ

دَقِيقَةٍ أو اثْنَتَيْنِ سَمِعَ أَنُورُ أصواتا ، ورأى صَدِيقَهُ الشَّمْبَانْزِى يَنْطَلِقُ هاربا ، ويَعْدُو عَلَى يَدَيْهِ ورِجْلَيْهِ ومَا لَبِثَ أَنْ تَسَلَّقَ إِحْـــدَى الأشجار . واقْتَرَبَتِ الأصواتُ ، ورَأى أنورُ أُنَاسًا سُمْرَ اللَّوْنِ جِدًّا ، يَلْبَسُونَ قِطَعًا من النَّسِيجِ المُتَّخَذِ من قُشُورِ الأشجارِ ، يَشُدُّونَهَا حَوْلَ جُـــذُوعِهِمْ ، ويُزَيِّنُونَ أَرْسَاغَهُمْ وسِيقَانَهُمْ بِعُقُودٍ من الخَرَزِ .

وسدد الرجل صوب الشمبانزى أنبوبة مجوفة من الخشب ونفخ من خلالها سهما

ولَمَّا وَصَلُوا إلى حَيْثُ يَجْلِسُ أَنُورُ ، نَهَضَ يَسْتَقْبِلُهُمْ قائلا : «أَسْعِدْتُمْ صباحا» وكَانَ يَشْعُرُ بالخَوْفِ من هؤُلاءِ النَّاسِ الأقوياءِ ، الذين تَبْدُو عليهم أَمَارَاتُ الكَآبَةِ ، ويَحْمِلُونَ بأَيْدِيهِمْ قُوسًا ذَاتَ أَسْلِحَةٍ طَوِيلَةٍ غَيْرِ عَرِيضَةٍ ، وسَكَاكِينَ صَغِيرَةً وسُيُوفًا طَوِيلَةً ، وسِهَامًا ، وقِطَعًا طَوِيلَةً مِنَ (الغاب) . عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَنْبَغِى لَهُ أَنْ يَخْشَى شَيْئًا ، لأَنَّ سُكَّانَ الغَابَاتِ هؤُلاءِ أُنَاسٌ وَادِعُونَ ، لا يَمِيلُونَ إلى الاعْتِدَاءِ عَلَى أَحَدٍ .

ورَأى أَحَدُهُمْ عَلَى الأَرْضِ حيوانًا كَانَ قَدْ صَادَهُ وأَخَذَ كُلٌّ منهم جُزْءًا منه ، وتَرَكُوا البَاقِيَ لِمَنْ عَسَى أَنْ يَحْضُرَ من الجِيرَانِ لِيَأْخُذَ نَصِيبَهُ . ثُمَّ تَقَدَّمَتِ امْرَأَةٌ نَحْوَ أَنُورَ ، وخَاطَبَتْهُ قَائِلَةً : « إِنَّكَ شَيْءٌ غَرِيبٌ مُضْحِكٌ! فَمِنْ أَيْنَ جِئْتَ ؟ »

فَأَجَابَ أَنُورُ : « مِنْ سَفِينَةٍ مَعَ الشَّمْبَانْزِى . »

وهُنَا لَمَحَ أَحَدُ الرِّجَالِ الشَّمْبَانْزِىَ فَوْقَ قِمَمِ الأشجارِ ، فَسَدَّدَ صَوْبَهُ أُنْبُوبَةً مُجَوَّفَةً من الخَشَبِ ، يَبْلُغُ طُولُهَا نَحْوَ مِتْرٍ ونِصْفٍ ، ثُمَّ وَضَعَ أَحَدَ طَرَفَيْهَا فى فَمِهِ ، ونَفَخَ من خِلالِهَا سَهْمًا صَغِيرًا خَفِيفًا مَسْمُومًا . ولَكِنَّ الشَّمْبَانْزِىَ كَانَ أَسْرَعَ من الرَّجُلِ ، فَقَفَزَ إلى شَجَرَةٍ أُخْرَى ، وأَخَذَ يُسْرِعُ من غُصْنٍ إلى غُصْنٍ ، حَتَّى اخْتَفَى .

فَخَاطَبَهُمْ أَنُورُ ، قائلا : «يَظْهَرُ أَنَّكُمْ صَيَّادُونَ!»

فَأَجَابَهُ الرَّجُلُ : « نَعَمْ ونَحْنُ نَعِيشُ فى هذه الغابَةِ . ولا يُمْكِنُ أَنْ يَعِيشَ أَكْثَرُ من عِشْرِينَ أو ثَلاثِينَ مِنَّا فى مَكَانٍ وَاحِدٍ . ونَحْنُ نَتَنَقَّلُ عَلَى الدَّوَامِ ، لِلْبَحْثِ عن

الطعام ولا نزرع شيئاً ، ولكننا نجمع الفاكهة البرية ، ونأكل أي حيوان نصطاده . ولا نستعين في صيدنا بالكلاب ، فإنها مهرة جداً في الصيد بهذه الأنابيب التي ننفخ من خلالها السهام . وأما الأقواس فلا تصلح هنا ، لأن الغابة كثيفة جداً . »

قال أنور : « ولكن كيف تحصلون على الأواني الحديدية والفئوس والسكاكين ، وهي لا تنمو في الغابة ؟ »

فأجابه الرجل : « نشتريها من قوم آخرين يصنعونها ، وهم يعيشون في ناحية أخرى من الغابة . وإذا شئت رافقتك إليهم لتراهم . »

قال أنور : « كلا ! شكراً ! فليس عندي وقت . وقد تركت الياك بمفرده على السفينة ، وهو ينتظرني . »

فسأل الرجل : « الياك ؟ ما الياك ؟ »

فأجاب أنور : « إنه نوع من الثيران ، ويسمى الثور الخوار ، لكثرة ما يحدثه من الضوضاء . وله شعر طويل يتدلى على جانبيه ، حتى يصل إلى الأرض . وسأعود به إلى وطنه . »

وعاد أنور إلى السفينة ، حيث قابل الياك ، فقال له : « والآن ! أنت آخر الحيوانات ! وبما أني لا أعرف الطريق ، فعليك أن تقود السفينة . »

فقال الياك : « هنا المشكلة ! ! فلا أنا ، ولا أنت نستطيع الذهاب إلى وطني بالسفينة ، لأن بلادي وعرة المسالك ، وبعيدة جداً عن البحر : فأنا أعيش على « سقف » العالم . وإلى الآن لم ير بلادي ولد أجنبي قط . ولكن على كل حال اذهب ، ونم حتى أناديك » .

وحيا أنور صديقه الاخير ، وذهب إلى مخدعه ، حيث استغرق في النوم . ولم يستيقظ إلا عند ما صاح الياك : « لقد وصلنا ! ! »

مطبعة مصر

شركة مساهمة مصرية – من مؤسسات بنك مصر

٤٠ شارع نوبار باشا (سابقاً شارع الدواوين)

استعدادات مطبعة مصر للطباعة بأنواعها قل أن تتوافر في مطبعة واحدة